بلاغـــــــــة تصريف لفــــــظ (التزكيـــــــــــة) الخاصّــــــــــة بصفات الرســــــــول - صلى الله عليه وسلم – فـــــي القرآن الكريم

أ. يونـــــس بشير علـــــي البقار– رئيس قسم الشـــــؤون الثقافية والدعوية بمكتب أوقاف بني وليد سابقا

المُقدّمـــــة:

الحمد لله رب العالمين القائل:(**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**)[1]، والصـــــلاة والســـــلام على رســــول الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تمسك بهديهم إلى يوم الدين،

أما بعد:

فإن الله – سبحانه وتعالى – العليم تحدى الإنس، والجن في أن يأتوا بمثل القرآن "المنزل من عند الله، الموصوف بالصفات الجليلة من كمال البلاغة، وحسن النظم وجزالة اللفظ "[2] فقال – سبحانه - :(**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)[3]، تحدّاهم – سبحانه – وفيهم العرب الفصحاء، وأرباب البيان، وأهل التحقيق[4]، فلم يستطيعوا بأي حال من الأحوال؛ وبأي صورة من الصور، أن يأتوا بمثل القرآن، فإذا انتفى الإتيان بمثله مع اجتماعهم؛ فمن باب أولى ألا يستطيعوا إذا تفرَّقوا "، ولو تظاهروا على الإتيان به"[5].

ولذا فإن المسلم يعتني بكتاب الله - عز وجل - حفظا وفهما وعملا، وتظهر أهمية فهم ألفاظ القـــرآن والنظر في تصريف الآيات في امتثال ما أمر الله به من تدبر هذا الكتاب الكريم، حيث قال- سبحانه- :(**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**)[6]، وإذا كان في تلاوة القرآن الكريم وسماعه زيادة الإيمان، كما قال – تعالـــى - :(**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**)[7] فكيف بتدبره، وتعقله، والبحث في أسراره ، وحكمه البديعة.

وأما الدّاعـــــــــي لكتابة هذا البحث ، فهي الرغبة الجامحة في النفس للاطلاع على بعض كنوز القرآن الكريم وأسراره، فرغبت في دراسة بلاغة تصريف لفظ

(التزكية) الخاصة بصفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في القرآن الكريم، وعند النظر في اشتقاقات هذا الجذر يجد الباحث صعوبة في كتابة ما يتعلق به، وتتبع ما قيل في كل لفظ من ألفاظه في هذه الورقات اليسيرة؛ وذلك لكثرة ورودها في القرآن ؛ ولذا عزمت على اختيار لفظ (يزكّيهم) من هــذا الجذر؛ حيث تصرف في القرآن سبع مرات سأقتصر على أربع منها، الواردة في صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم-.

وتهدف هذه الدراســـة إلى الوقوف على ما قيل في هذا اللفظ من لطائف ودرر، وجمع شتاتها في هذه الورقات.

ولم أجد حسب اطلاعي – المتواضع جدا – بحثا أو مقالا يتناول جمع الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ، وما قيل فيه في سفر واحد إلا ما تناوله أهل التفسير في كتبهم، أو بعض الأبحاث التي تناولت آيتين أو ثلاث آيات.

كما أنني سرت في تتبع هذا اللّفظ ، ودراسته على عدة مناهج منها الاستقرائي ، والوصفي التحليلي، والنقدي، والاستنباطي؛ راجياً الحصول على نتائج دقيقة بعون الله وتوفيقه.

واتبعت- أيضا- عدة أمور هـــــي :

1- رتبت المطالب على حسب الترتيب القرآني للآيات موضوع الدراسة.

2- عزوت الآيات القرآنية إلى رواية حفص عن عاصم، كما جعلت الآية بين قوسين مزهرين هكذا ( ).

3- خرجت الأحاديث النبوية التي وردت في البحث، وكتابتها بالتشكيل ما أمكن، وحصرها بين قوسين هكذا « ».

وتكمن إشكالية البحث في وجود دقائق نفيسة، ولطائف بليغة، وحكم وأسرار من ورود لفظ (يزكيهم) متصرفاً من حيث التقديم أحيانا، والتأخير أحيانا أخرى؛ وما كان لكلمة أن تتقدم من مكانها دون غاية معنوية وهدف دلالي، وغير ذلك مما سيجتهد الباحث في الإجابة عنه في هذا البحث المتواضع – إن شاء الله تعالى – .

ولذا حاولت جاهدا الاطلاع على مصادر، ومراجع في التفاسير، وعلوم القرآن، ومباحث قرآنية مما له علاقة بهذا اللفظ الكريم.

وبهذا يكون البحث قد جاء على التقسيم الآتي:

مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة حوله، ومنهجه، وإشكالياته، وختمتها بهيكلية البحث.

المطلب الأول: التزكية لغة واصطلاحا وفيه ثلاث مسائل ، المسألة الأولى: المعنى اللغوي للتزكية ، والمسألة الثانية: المعنى الاصطلاحي للتزكية ، والمسألة الثالثة: حصر الآيات التي ورد فيها لفظ (ويزكيهم) الخاص بصفات الرسول – صلى الله عليه وسلم – . وفي المطلب الثاني: التزكية والتعليم، وفيه أربع مسائل: المسألة الأولى: اللمسات البلاغية في الموضع الأول(دعاء إبراهيم - عليه السلام-) ، والمسألة الثانية: اللمسات البلاغية في الموضع الثاني (التذكير بالنعم) ، والمسألة الثالثة: اللمسات البلاغية في الموضع الثالث (الامتنان) ، والمسألة الرابعة: اللمسات البلاغية في الموضع الرابع (إجابة الدعـــوة) ، والمطلب الثالث: اللمسات البلاغية في التقديم والتأخير، وأما الخاتمة، ففيها أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث، وقد حاولت أن يكون هناك توازن بين مطالب هذا البحث من حيث الطول، والقصر؛ بيد أن بعض المطالب جاء أطول من بعض؛ لطبيعة المادة العلمية.

المطلب الأول ـ التّزكية لغةً واصطلاحاً، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولـــــى ـ المعنى اللُّغوي للتزكيـــــة.

يرجع معنى هذه المادة (ز ك و) إلى معنيين أساسين[8]، هما الزيادة والنماء، والطهارة والصلاح.

المعنى الأول- الزيادة والنماء : يقال:" زَكَا الزَّرع يَزكُو زَكَاءً: ازداد ونما، وكل شيء ازداد ونما فهو يَزكُو زَكَاءً"[9]. وزَكَّى الرجل ماله تَزكِيَةً : أدى زَكَاتَهُ؛ لأنه ينميه بما يبارك الله له فيه[10]؛ قال الله – تعالى –:(**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**)[11]، وهذا المعنى يرجع إليه جميع المعاني بما فيها المعنى الثاني الطهارة، والصلاح.

فالزَّكاة سميت زَكاة؛ لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتقيه من الآفات؛ يقال: زَكَا المال يَزكُو زَكاءً إذا زَاد، ونمى؛ ويقال: قد زَكَت النفقة إذا زادت؛ وفلان زَكِيّ أي متزايد في الخير، وهذا أَزكَى من ذاك، أي أزيد فضلاً منه، وقد زَكّى القاضي العدول إذا بيَّن زيادتهم في الفضل قال الله - تعالى - :(**أقتلت نفساً زَكيّةً بغير نفسٍ**)[12]؛ أراد زائدة الخير لم تذنب، ولم تكن منها خطيئة[13].

المعنى الثانـــــي- الطهارة والصلاح: فـ " زَكاةُ المالِ: تَطْهِيْرُه، زَكّى يُزَكي تَزْكِيَةً"[14]، و" زَكَّيتُه بالتثقيل نَسَبتُه إلى الزَّكَاء، وهو الصلاح"[15]، تقول رجل زَكِيٌّ (تقي)، ورجال أزكياء (أتقياء)، وزَكَّى نفسه: مدحها ونسبها إلى الزَّكاء، ومنه قول الله

– تعالى –:(**فَلَا تُزَكُّـــــوا أَنْفُسَـــــكُمْ**)[16]، وزكَّى الشهود: عدَّلَهم ووصفهم بأنهم أَزكِيَاء[17]، و" أرض زَكِيَّة: طيِّبة "[18].

المسألة الثانية : المعنى الاصطلاحي للتَّزكية:

التزكيـــة : " إكساب الزكاة، وهي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم ... وأصل التزكية نفي ما يستقبح قولا، أو فعلا، وحقيقتها الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان"[19] ، و " الزكاة ركن من أركان الإسلام، وهي: إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص" [20] ، وفي مصطلح الحديث: التزكية: المراد بها تعديل الرواة وتوثيقهم[21] ، وكتب التَّزكية : هي كتب الزهد والأخلاق، والترغيب والترهيب[22] ، وتَزكِيَةُ الشُّهود: بيان صلاحيتهم للشهادة[23].

المسألة الثالثة ــ حصر الآيات التي ورد فيها لفظ (يزكيهم):

ورد لفظ (يزكيهم) بضمير الغيبة في القرآن الكريم أربع مرات، وبضمير الخطاب (يزكيكم) مرة واحدة، وكلها بياء المضارعة، وجاء (تزكيهم) بتاء المضارعة مرة واحدة، ويهمنا في هذا البحث من هذه المواضع أربعة مواضع؛ تفصيلها على النحو الآتي :

الموضع الأول- قوله - تعالى- :**(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[24].

الموضع الثانـــي - قوله - تعالى- : **(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**[25].

الموضع الثالث- قوله - تعالى- :**(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[26].

الموضع الرابع- قوله - تعالى- :**(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[27].

المطلب الثاني ــ تصريف لفظ التزكية مع لفظ التعليم. وفيه أربع مسائل :

إن من الصفات المهمة التي ينبغي للمربي أن يتّصف بها (التزكية) و(التعليم)، ولهذا كانت من الصفات التي اتَّصف بها النَّبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وقد جاءت صفة (التّزكية) في القرآن الكريم مقترنة مع (التعليم) في مواضع متعددة، متأخرة أحيانا،

ومتقدمة أحياناً أخرى، وفي ذلك من اللمسات البلاغية الشيء الكثير، نذكرها في كل موضع من المواضع على حسب ترتيبها في القرآن الكريم. وتفصيل ذلك من خلال الآتي.

المسألة الأولى : اللمسات البلاغية في الموضع الأول (دعاء إبراهيم - عليه السلام - لمحمد - صلى الله عليه وسلم -)، قال - تعالى- : **(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[28] ، وجاء في أثناء دعاء إبراهيم - عليه السلام - ربَّه جملة من الأدعية كان آخرها هذه الآية الكريمة.

وإن الناظر فيها ليقف فرحاً مسروراً بما لها من حلاوةٍ ، وما عليها من طلاوةٍ، ولكن قبل الحديث عما في هذا الترتيب من أســـرار بلاغية، وبيانية، وإعجاز، وغير ذلك، أذكر

أولا- بعض ما يتعلق بتفسير الآية الكريمة في الجملة: فقوله - سبحانه وتعالى- :(**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ**) هذه دعوة من النبي الكريم إبراهيم -عليه السلام - أن يبعث نبياً (فِيهِمْ) أي في الأمـــة المسلمة التي من ذريته - عليه الصلاة والسلام – [29]، ولم يبين هنا من هذه الأمة التي أجاب الله بها دعاء نبيه إبراهيم وإسماعيل تبع له - عليهما السلام -، ولم يبين- أيضاً - من هذا الرسول الذي يرجو أن يبعثه فيهم ؛ لكنه بيّـــن في ســـــورة الجمعة [30] أن تلك الأمة هـــي العرب [31]، والرسول هو سيد الرسل محمد - صلى الله عليه وسلم –[32]، ومصداق ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " **أَنَا دَعـــــوَةُ أَبـــِي إِبرَاهِيـــــم** " [33] ، ولا خلاف بين المفسرين في ذلك [34].

ثم ذكر صفات هذا الرسول، فقال:**(يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**.

ثانيا ـ اللمسات البلاغية في هذه الآيـــة : دعا إبراهيم - عليه السلام - ربه - سبحانه وتعالى - أن يبعث رسولاً في ذريته، ولا يتركهم سدى بلا شريعة، بعد أن علم أن الشرائع، والواجبات تكون من قبل الرسول لا بمجرد العقل[35]؛ ولأن إبراهيم - عليه السلام - عَلِمَ أن في ذريته من يكون كفاراً سأل الله - تعالى - أن يبعث فيهم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده[36]، فقال - عليه السلام - في بداية دعائه هذا **:(ربنا)**، فأعاد النداء:(**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا**)، والمتتبع للسابق، واللاّحق في الآية الكريمة في قوله - تعالى- :(**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ**

مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[37] يجد أن إبراهيم - عليه السلام - عندما أراد الدعاء لذريته بأن يبعث الله فيهم رسولاً أعاد النداء (**رَبَّنَا**)، وهذه الكلمة جاءت معترضةً بين جمل الدعوات المتعاطفة[38]؛ وذلك " لكمال الضراعة والشعور بنعمة الربوبية"[39]؛ و " للاهتمام بالسبب وزيادة "[40] ؛ ولأنه جاء بغرض آخر في هذا الدعاء، وهو المجيء بالرسالة في ذريته؛ لتشريفهم وحرصاً على تمام الهداية لهم[41].

ثم قال إبراهيم - عليه السلام - في دعائه :(**وابعث فيهم**) واختار - عليه السلام- لفظ (ابعث)، كأنه يوحي بأنهم كانوا كالموتى في أحوالهـــم ، لا يشعرون بشيء من صالح الحياة، فيكون الرسول فيهم بمثابة من بعثهم من رقادهم الجاهلي، وموتهم القلبي[42]، و- أيضاً - قال إبراهيم - عليه السلام : (**فِيهِمْ**)، والهاء، والميم من (فِيهِمْ) فيها قولان :

الأول: أنها تعود على الذرية.

والثاني: أنها تعود على أهل مكة في قوله تعالى:(وَارْزُقْ أَهْلَهُ)[43].

ومن بلاغة الآية أنه قال:(**فِيهِمْ**)، ولم يقل لهم لتكون الدعوة بمجيء رسول برسالة عامة؛ فلا يكون ذلك الرسول رسولاً إليهم فقط، ولذلك حذف متعلق (رسولاً)؛ لتعم رسالته جميع الخلق [44]، وهذا الدعاء لهم يتضمن الارتقاء الذي يؤهلهم ويُعِدُّهم لظهور هذا النبي منهم[45] ، ثم دعا - عليه السلام - أن يكون الرسول :(**رَسُولاً مِّنْهُمْ**)[46]، والرسول: من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه[47]، وجاء بلفظ (رسولًا) نكرة وذلك للتعظيم، أي رسولا عظيما كريما منهم[48]، ومن بلاغة الآية أنه قال:(مِنهُم)، " ولم يقل: فيهم؛ لأنَّ البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم، بل يكون منهم، ومن غيرهم"[49]، وكان منهم لأنهم يعرفونه ويتحقَّق لهم فضله، ويكون مُشفِقاً وحريصاً عليهم[50]، و" ليكونوا أسكن إليه وأسهل عليهم"[51]، و " منهم لا من غيرهم لوجوه:

أحدها : ليكون محلهم ورتبتهم في العز والدين أعظم؛ لأن الرسول والمرسل إليه إذا كانا معاً من ذريته ، كان أشرف لطلبته إذا أجيب إليها .

وثانيها: أنه إذا كان منهم فإنهم يعرفون مولده ومنشأه فيقرب الأمر عليهم في معرفة صدقه وأمانته.

وثالثها: أنه إذا كان منهم كان أحرص الناس على خيرهم، وأشفق عليهم من الأجنبي لو أرسل إليهم"[52].

ثم ذكر إبراهيم - عليه السلام - صفات هذا الرسول التي يتحلى بها فقال:(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**) هذه الصفة الأولى لهذا الرسول، وهي : (**التـــلاوة**) ويتلو يعني : يقرأ عليهم كتابك الذي توحيه إليه[53] الدال على توحيدك وصدق رسالتك[54]، " وهو القرآن ... لأن الذي كان يتلوه عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه"[55] يقرأه عليهم قراءة تذكير، وفي هذا إيماء إلى أنه يأتيهم بكتاب فيه شرع.

والآيات جمع آية، وهي الجملة من جمل القرآن، سميت آية لدلالتها على صدق الرسول بمجموع ما فيها من دلالة صدور مثلها من أمي لا يقرأ، ولا يكتب، وما نُسجت عليه من نظم أعجز الناس عن الإتيان بمثله؛ ولِمَا اشتملت عليه من الدلالة القاطعة على توحيد الله، وكمال صفاته، دلالة لم تترك مسلكاً للضلال في عقائد الأمة ... وجيء بالمضارع في قولـــه **:(يتلو)**؛ لأن كل كلمة فيه تتلو أختها[56] وللإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته"[57] " المرة بعد المرة؛ لترسخ في النفس وتؤثر في القلب"[58]، ومن بديع الآية أنه لم يقل:(يقرأ)؛ لأن التلاوة علاوة على ما سبق؛ فيها من الخضوع، والتَّدبُّر، وترقيق القلب، وانشراح النفس الشيء الكثير؛ ولذلك اقتضاها السياق إيثاراً لها على غيرها من الألفاظ [59]، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قال قولته المشهورة:« **والله إنّ لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو، ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته** »[60]، ويستفاد أيضا من لفظ (يتلو) أن هذا القرآن يتعبد بتلاوته[61].

ثم ذكر - عليه السلام - الصفة الثانية لهذا الرسول فقال:(**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**)، الكتاب "هو القرآن، والمعنى: أنه يفهمهم ويلقي إليهم معانيه"[62]، والملاحظ أنه في هذه الآية "أسند التعليم للرسول؛ لأنه هو الذي يلقي الكلام إلى المتعلم، وهو الذي يفهمه ويتلطف في إيصال المعاني إلى فهمه ... والتعليم يكون بمعنى التفهيم وحصول العلم للمتعلم، ويكون بمعنى إلقاء أسباب العلم، ولا يحصل به العلم، ولذلك يقبل النقيضين، تقول: علمته فتعلم، وعلمته فما تعلم، وذلك لاختلاف المفهومين من تعلم"[63].

ولم يكتف إبراهيم - عليه السلام - بذكر أن الرسول يعلمهم (الكِتَابَ) فقط ؛ بل قال:(وَالْحِكْمَةَ): والحكمة لها في كتب التفسير عدة معان، منها أنها الشريعة وبيان الأحكام ومنها: السنة وبيان النبي الشرائع. ومنها: الفقه في الدّين، والفهم الذي هو سجية، ونور من الله - تعالى - ومنها: فهم القرآن. ومنها: العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما. ومنها: الحُكم والقضاء. ومنها: أن من الحكمة ما لا يعلم إلا من جهة الرسول. ومنها: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة. ومنها: الحكمة هنا الكتاب، وكررها توكيداً[64]. ومنهم من قال: الحكمة كل صواب من القول ورّث فعلاً صحيحاً. وقيل: هي وضع الأشياء مواضعها[65].

وإن الناظر في هذه المعاني التي ذكرها المفسرون في كتبهم يجدها أقوالا متقاربة غير متباينة، ويمكن حملها على جميع المعاني، ولكن لو أمعنت النظر لوجدت أن هذه المعاني تعود إلى معنى واحد، وهو السنة فإن تعليم السنة هي الفقه في الدين، وبها يفهم القرآن، وبها يكون الرجل حكيما، ويَضَع الأشياء مواضعها، ومن خلالها يحكم ويقضي بين الناس، وفي السنة من الوعظ، والدعوة إلى المكارم، والنهي عن القبائح كثير؛ بل السنة كلها كذلك، والسنة الصحيحة هي عين الصواب، ولا بد أن تورث لصاحبها فعلا صحيحا، وكيف لا؟! والفعل على السنة.

ومن بلاغة الآية أن لفظ الكتاب والحكمة جاء بـ (أل) إشارة إلى الغاية الجامعة لكل كتاب، وحكمة؛ بما يعلمه الأولون والآخرون[66].

وبعدها ذكر - عليه السلام - الصفة الثالثة لهذا الرسول، في قوله - تعالى- : **(ويزكّيهم)** أي : " يطهر أخلاقـــكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك إلى التوحيد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن ســـوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض، والتهاجر، والتقاطع إلى التحاب ، والتواصل والتوادد، وغير ذلك من أنواع التزكية "[67] وقيل : يأخذ الزكاة من أموالهم، أو يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ؛ من التزكية؛ وهي التعديل"[68].

وقوله – تعالى - :**(وَيُزَكّيهِمْ)** " إشارة إلى التخلية ، كما أن التعليم إشارة إلى التحلية، ولعل تقديم الثاني على الأول لشرفه[69]؛ ولكن من المعلوم أن الرسول لا قدرة له على التصرف في بواطن المكلفين، والتزكية أمر قلبي، فإذن هذه التزكية لها تفسيران.

الأول : ما يفعله الرسول غير التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة، كالوعد والإيعاد، والوعظ والتذكير، وتكرير ذلك عليهم، وتحذيرهم من التشبث بأمور الدنيا ودعوتهم إلى أن يؤمنوا ويصلُحوا، فيكون الرسول كالسبب لهذه التزكية.

الثاني : أي : يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة ، كتزكية المزكّي الشهود.

والمعنى الأول أجود ؛ لأنه أدخل في مراده بالدعاء؛ لأن مراده أن يتكامل لهذه الذرية الفوز بالجنّة، وذلك لا يتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة، ثم بالترغيب الشديد في العمل والترهيب عن الإخلال بالعمل، وهو التزكية[70].

ومن قوله - تعالى- :(**وَيُزَكِّيهِمْ**) نعلم " أن الشريعة التي جاء بها النبي - صلى الله عليه وسلم - كلها تزكية للأمة، وتنمية لأخلاقها، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة؛ ولهذا كان من القواعد المقررة في الشريعة أنها تأتي بالمصالح الخالصة، أو الراجحة، وتنهى عن المفاسد الخالصة، أو الراجحة، فالخمر فيه مصالح، ومفاسد؛ لكن مفاسده راجحة؛ ولهذا حُرِّم؛ الحجر على السفيه فيه مصالح، وفيه مفاسد؛ لكن مصالحه راجحة؛ فلذلك قدمت المصالح، أو مصالح خالصة، فليس فيها مفاسد، كعبادة الله - مثلاً - هذه قاعدة الشريعة"[71].

ومن بديع القول في الآية أنه أتى في هذه الصفات (يَتْلُو - يُعَلِّمُهُمُ - يُزَكِّيهِمْ) بفعل مضارع ليدل بذلك على التجدد؛ لأن التلاوة، والتعليم، والتزكية تتجدد دائماً[72].

ثم ختم إبراهيم - عليه السلام - دعاءه بقوله:(**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) أي: " إنك يا رب أنت (العزيز) القوي الذي لا يعجزه شيء أراده ، فافعل بنا وبذريتنا ما سألناه وطلبناه منك؛ و(الحكيم) الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل، فأعطنا ما ينفعنا وينفع ذريتنا، ولا ينقصك ولا ينقص خزائنك"[73] ، و" مناسبة قوله:(**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) لهذا الدعاء؛ هو أن (العزيز) هو: القادر، و(الحكيم) هو: العالم بوضع الأشياء في مواضعها، ومن كان عالماً قادراً، فهو قادر على أن يبعث فيهم رسولاً يعلّمهم الكتاب، والحكمة، ويزكيهم"[74].

ومن البلاغـــة لم يقل في هذه الآية " الغفور الرحيـــم ؛ لأن العزيز هو الذي ينفذ مراده ولا ينفَّذ فيه مراد أحد، والحكيم هو الذي تضمنه قوله – تعالى- :(**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**)[75]، وقوله :(**وكانوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**)[76]"[77].

المسألة الثانية ــ اللمسات البلاغية في الموضع الثاني (التذكير بالنعم) :

قوله - تعالى- :**(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**[78] . اختلف في الكاف في قولـــه - تعالى - :**(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ)** بم يتعلق؟ أيتعلق بما قبله أم بما بعده؟، فقال بعض العلماء إنه يتعلق بما قبله، وعلى هذا القول يكون فيه وجوه.

الوجــه الأول: أن الكاف راجع إلى قوله تعالى: **(وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ)**[79]، فكأن المعنى لأتـــم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف ، وفي الآخرة بالفوز بالثواب، كما أتممت نعمتي عليكم في الدنيا بإرسال الرسول[80].

الوجه الثانـــي: أن الكاف راجع إلى دعاء إبراهيم - عليه السلام – يعني : فكما أجبت دعوته بانبعاث الرّسول في قوله : **(رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آياتك وَيُزَكّيهِمْ)**[81] كذلك أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه، وأجعلكم مسلمين في قوله - تعالى- :**(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**[82]، وهذا على قول من يجعله متصلاً بما قبلها، وجواباً للآية الأولى[83].

الوجه الثالث: وهو أن الكاف متعلقة بقوله – تعالى- :(**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)**[84] أي: كما أرسلنا فيكم رسولاً من شأنه، وصفته كذا وكذا، فكذلك جعلناكم أمة وسطاً[85].

وأما إن قلنا : إنّ الكاف " متعلق بما بعده ، فالتقدير: كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يعلّمكم الدّين والشّرع، فاذكروني أذكركم ... وتقريره إنكم كنتم على صورة لا تتلون كتاباً، ولا تعلمون رسولاً، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - رجل منكم ليس بصاحب كتاب، ثم أتاكم بأعجب الآيات يتلوها عليكم بلسانكم ، وفيه ما في كتب الأنبياء ... فكما أوليتكم هذه النعمة ، وجعلتها لكم دليلاً، فاذكروني بالشكر عليها، أذكركم برحمتي وثوابي، والذي يؤكده قوله – تعالى- : (**لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤمنين إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنفُسِهِمْ)**[86] "[87] ويحتمل على هذا الوجه، ألا تكون الكاف للتشبيه بل للتعليل، وهو قول وجيه[88].

وقوله في الآية :**(فِيكُمْ)** متعلق بـ (أرسلنا) وقُدِّم على المفعول (رَسُولاً) تعجيلا بإدخال السرور عليهم ؛ لكون هذا الرسول فيهم[89].

ثم قال - تعالى- :**(رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ).**

وقد مـــرَّ معنا في الموضع السابق الكلام على كل كلمة، ويمكن القول هنا كما قيل في الموضع السابق، ولكن في هذه الآية قدّم التزكية على التعليم، وفي دعاء إبراهيم قدّم التعليم على التزكية. والفرق أن المراد بالتزكية في هذه الآية التطهير من الكفر، والمراد بها في دعاء إبراهيم الشهادة بأنهم خيار أزكياء، وذلك متأخر عن تعلم الشرائع والعمل بها.

و" التّزكية " - أيضاً - تكون بمعنى التَّنمية، كأنه قال: يكثركم؛ كقوله- تعالى- :(**إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ**)[90] ، وذلك بأن يجمعهم على الحقّ، فيتواصلوا، ويكثروا[91].

وأيضاً الموضع السابق ختم إبراهيم – عليه السلام - الدعاء بقوله :(**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) وأما في هذه الآية فقد ختمها الله – تعالى - بقوله:(**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**) تنبيه على أنه - تعالى - أرسله على حين فترة من الرسل وجهالة من الأمم، فالخلق كانوا متحيرين ضالين في أمر أديانهم، فبعث الله - تعالى - محمداً بالحقّ حتى علّمهم ما احتاجوا إليه في دينهم، وذلك من أعظم أنواع النعم[92].

وقوله - تعالى- :(**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**) بعد قوله - سبحانه -:(**وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) ليس فيه تكرار؛ بل هو من باب ذكر العام بعد الخاص، وهو قليل بخلاف عطف الخاص بعد العام؛ لأن تلاوة القرآن عليهم غير تعليمه إياهم[93]، فـ:(**يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**) من العلوم التي لا طريق إلى تحصيلها إلا من جهة الوحي على ألسنة الأنبياء، ولا سبيل إلى إدراك جزئياتها، وكلياتها إلا بهم، كأخبار الأمم الماضية، والقرون الخالية، وقصص الأنبياء، وذلك قبل بعثة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وكذلك الحوادث المستقبلية مما لم يكونوا يعلمونه، وأما الكتاب والحكمة، فهو ما كان للعقل فيه مجال في معرفة شيء منه، وأعاد ذكر (**وَيُعَلِّمُكُمْ**) مع صحة الاستغناء عنه بالعطف تنصيصاً على المغايرة لئلا يظن أن قوله:(**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ**) هو الكتاب والحكمة[94].

المسألة الثالثة : اللمسات البلاغية في الموضع الثالث (الامتنان): قوله – تعالى- **:(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[95]**، ابتدأ الله - سبحانه - هذه الآية بقوله:(**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) يعنـــــي: "أحســـــن إليهم وتفضل عليهم، والمنة النعمة العظيمة؛ وذلك في الحقيقة لا يكون إلا من الله"[96]، فـبين الله -

تعالى - في هذه الآية عظيم منَّته على المؤمنين ببعثه محمداً - صلى الله عليه وسلم -. وفي المنّة أقوال منها:

أنه بشر مثلهم؛ فلما أظهر البراهين وهو بشر مثلهم علم أن ذلك من عند الله.

ومنها أنه : (**مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) أي : منهم، فيشرفون به - صلى الله عليه وسلم -، وليعرفوا حاله، ولا تخفى عليهم طريقته، وإذا كان محله فيهم هذا كانوا أحق بأن يقاتلوا عنه، ولا ينهزموا دونه[97].

و"وجه المنّة والإنعام على المؤمنين ببعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكونه داعياً لهم إلى ما يخلّصهم من العذاب الأليم، ويوصلهم إلى الثواب في جنات النعيم، وكونه من أنفسهم ومن جنسهم؛ لأنه إذا كان اللسان واحداً سهل الأخذ عنه فيما يجب عليهم، وكانوا واقفين على جميع أحواله، وأفعاله يعرفون صدقه، وأمانته، فكان ذلك أقرب إلى تصديقه، والوثوق به، وفي كونه من أنفسهم شرف لهم"[98] ، و" مناسبةُ ذكر الامتنان هنا أنّ فيه من التسلية على مصيبة الهزيمة في غزوة أحد حظّاً عظيماً؛ إذ قد شاع تصْبير المحزون وتعزيته بتذكيره ما هو فيه من النعم"[99]، و" خص الله - تعالى - منته وفضله بالمؤمنين؛:(**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**) ؛ لأنهم هم الذين انتفعوا بنعمة الإسلام ، الذى لن يقبل الله دينا سواه"[100]، والمراد بهم هنا المؤمنون الَّذين كانوا مع النَّبي بقرينة السياق وهو قوله :(**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) ، أي : من أمَّتهم العربية[101]، " ويجوز أن يشمل قوله :(عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) المؤمنين في كل العصور"[102] ، وقوله – تعالى- :(**إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) "(إذ) ظرف لـ (من) لأن الإنعام بهذه النعمة حصل أوقات البعث"[103] ، (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ) علق بفعل (بعث) حرف (في)، ولم يعلق به حرف (إلى) كما في قوله – تعالى- :(**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ**)[104]؛ لأن ذلك مقام احتجاج وهذا مقام امتنان فناسب أن يذكر ما به تمام المنة، وهي أن جعل رسولهم فيهم ومنهم[105]، وقوله - تعالى- : (**رسولاً من أنفسهم**) أي : أن هذا الرسول مماثلٌ " لهم في الأشياء التي تكون المماثلة فيها سبباً لقوّة التواصل، وهي هنا النسب، واللّغة، والوطن.

والعرب تقول: فلان من بني فلان من أنفسهم، أي من صميمهم ليس انتسابه إليهم بوَلاء أو لصق، وكأنّه هذا وجه إطلاق النفس عليه التي هي في معنى المماثلة"[106].

ثم قال- سبحانه وتعالى - :(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**).

وقد مرَّ معنا في الموضع الأول، والثاني الكلام على كل كلمة من كلمات الآية الكريمة، ويمكن القول هنا كما قيل في الموضعين السابقين، ولكن في هذه الآية قدّم التزكية على التعليم، كما في الموضع السابق بخلاف الموضع الأول في دعاء إبراهيم قدم التعليم على التزكية.

وفي الآية لطيفة وهـــي أن إسناد تعليم الكتاب ، والحكمة إلى الرسول يجمع بين الإسناد الحقيقي والمجازي ؛ لأنّ تعليم الكتاب، والحكمة إما متلقّى منه مباشـــــرة، أو بالواسطة[107] ، فالصحابة أخذوا منه مباشرة، ومن بعدهم أخذوه بواسطة.

والملاحظ في هذه الآية أنها ختمت بقوله: **(وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**، وذلك ليبين - سبحانه وتعالى - ما تكتمل به هذه النعمة، وهو أنهم كانوا من قبل في ضلال مبين؛ لأن النعمة إذا وردت بعد المحنة كان وقوعها أجل وأعظم، فإذا كانت النعمة العلم، والحكمة، والتزكية، وكانت عقيب الجهل والبعد عن الدين، كانت في النفوس أعظم، وذلك مثل قوله: (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فهدى)[108]، فهم كانوا(فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، أي جهالة وحيرة عن الهدى، وعُمياً عن الصراط المستقيم، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، فهداهم الله بنبيّه - صلى الله عليه وسلم -[109]، ووصف الضلال بالمبين؛ لأنّه لشدّته لا يلتبس على أحد، كقوله تعالى:(قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)[110]، والمراد بهذا الضلال ضلال الشرك والجهالة والتقاتل وأحكام الجاهلية [111].

المسألة الرابعة ــ اللمسات البلاغية في الموضـــــع الرابع (إجابة الدعـــــوة): قوله - تعالى- :**(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[112]**، ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية هي استجابة لدعوة إبراهيم - عليه السلام -[113] في قوله:(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ)[114]، فقوله - عز وجل- :**(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ)** " أي في العرب؛ لأن أكثرهم لا يكتبون، ولا يقرؤون **(رَسُولًا مِنْهُمْ)** من جملتهم أميا مثلهم"[115] وهذا من إيجاز القرآن البديع فـ" مع كونه أمّياً قد أتى أمته بجميع الفوائد التي أتى بها الرّسل غير الأميين أممهم، ولم ينقص عنهم شيئاً، فتَمَحَّضت الأمية للكون معجزةً حصل من صاحبها أفضل مما حصل من الرسل الكاتبين مثل موسى.

وفي وصف الأميّ بالتلاوة ، وتعليم الكتاب، والحكمة، وتزكية النفوس ضرب من محاسن الطباق ؛ لأن المتعارف أن هذه مضادة للأمية "[116]، ولم يكتف القرآن بإثبات

أمية النبي - عليه الصلاة والسلام -؛ بل أتبع ذلك تسجيل أمية قومه ، وهم الوسط المحيط به، المخالِط له - حتى لا يقال: إنه استقى معلوماته منهم مشافهة، ثم راح يصوغها بعبقريته الخاصة، وأسلوبه الفريد ، وقوله - سبحانه وتعالى- : (**بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ**)، قد مرّ معنا في الموضع الأول " دلالةِ لفظ «بعث»، وأَنَّه يفيدُ أنَّ هؤلاءِ كانوا موتى باعتقاداتِهم، فبعثَ الله لهم النَّبي صلّى الله عليه وسلّم ليحييهم"[117].

ومن البلاغة قوله - تعالى - في الآية :(**فـــي الأميين**)، بحرف الجر " فـــي " التي للظرفية أنه يفهم منها معنى الملازمَة، أي : رســـولاً لا يفارقهم فليس ماراً بهم كما يَمرّ المُرسل بمقالةٍ يبلغها إلى القوم ويغادرهم[118]. "فإن قيل ما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أميا؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

الأول : لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء.

الثاني : لمشاكلة حاله لأحوالهم، فيكون أقرب إلى موافقتهم.

الثالث : لينتفي عنه سوء الظَّنِّ في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها، والحِكم التي تلاها"[119] وهذا كله دليل معجزته، وصدق نبوته[120].

ويشعر هذا الامتنان بأن الله - سبحانه وتعالى - لم يســبق أن بعث في العرب رسولا غير محمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك جاء :(**رَسُـــولاً مّنْهُمْ**) مفردا، ووصف هذا الرسول بأوصاف كلها معجزة ، وهي أن هذا الرسول منهم، وتالياً عليهم آيات الله، ومزكّياً لهم، ومعلّماً لهم الكتاب والحكمة، وقدم (**منـــــهم**)؛ لأن معرفة الرسول ذاته متقدمة على معرفة ما يصدر من أفعاله ، وأتى- أيضاً - بصفة التلاوة للآيات ثانياً؛ لأنها هي المعجزة الدالة على صدقه، وأضاف - سبحانه وتعالى - الآيات إليه؛ لأنها كلامه، ومن تلاوته تستفاد العبادات، ومجامع الأخلاق الشريفة، وتنبع العلوم. وأتى ثالثاً بصفة التزكية؛ لأن ذلك ناشئ عن إظهار المعجزة لمن أراد الله - تعالى - توفيقه وقبوله للحقّ. وأتى بصفة تعليم الكتاب والحكمة رابعاً؛ لأن التعليم ناشئ عن تطهير الإنسان، باتباع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فبعد تطهيره وتزكيته؛ يعلمه ويفهمه ما انطوى عليه كتاب الله - تعالى - وما اقتضته الحكمة الإلهية. وأتى بهذه الصفات فعلاً مضارعاً ليدل بذلك على التجدد؛ لأن التلاوة، والتزكية، والتعليم تتجدد دائماً. وأما الصفة الأولى، وهي كونه منهم ، فليست بمتجددة، بل هو وصف ثابت له[121].

قوله – تعالى- : (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ**) استئناف بياني ناشئ عن إجراء الصفات المذكورة في أول السورة، وهي قوله تعالى:(**الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) على اسم

الجلالة ؛ إذ يتساءل السّامع عن وجه تخصيص تلك الصفات بالذّكر من بين صفات الله - تعالى - فكان الحال مقتضياً أن يبيِّن شيئاً عظيماً من تعلق تلك الصفات بأحوال خلقه - تعالى - إذ بعث فيهم رسولاً يطهّر نفوسهم ويزكّيهم ويعلّمهم. فصفة: (الملك) تعلقت بأن يدبّر أمر عباده، ويصلح شؤونهم، وصفة:(القدوس) تعلّقت بأن يزكّي نفوسهم، وصفة:(العزيز) اقتضت أن يلحق الأمّيّين من عباده بمراتب أهل العلم، ويخرجهم من ذلة الضلال، فينالوا عزة العلم وشرفه، وصفة:(الحكيم) اقتضت أن يعلّمهم الحكمة والشّريعة، وابتداء الجملة بضمير اسم الجلالة (هُوَ) لتكون جملة اسمية فتفيد تقوية هذا الحكم وتأكيده بأن النبي - صلى الله عليه و سلم - مبعوث من الله لا محالة[122]؛ لفرط احتياجهم إليه؛ لأنهم لا يكتبون ولا يقرؤون[123]، ومن بديع ارتباط هذه الآية بالسور التي قبلها، وهـي سورة الصف، أنه لما ذكر في سورة الصف قول عيسى: (**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**)[124] قال هنا: (**هوَ الذي بعث في الأُميين رَسولاً منهم**) إشارة إلى أنه الذي بشر به عيسى عليه السلام[125]، ثم قال - سبحانه وتعالى- :(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**) ، وقد مر معنا في الموضع الأول ، والثاني، والثالث - أيضا - الكلام على كل كلمة من كلمات الآية الكريمة ، ويمكن القول هنا كما قيل في المواضع السابقة، ولكن في هـــذه الآية قدّم التزكية على التعليم ، كما في المواضع الثلاثة السابقة بخلاف الموضع الأول ، في دعاء إبراهيم، فقدم التعليم على التزكية.

ويلاحظ في هذه الآية أنها ختمت بقوله- تعالى- : (**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)، كما في موضع (الامتنان)، وذلك بعد ذكر صفات الرســـول :(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**)، فعلم من ذلك أن " الخروج من الضلال المبين إلى الهدى المبين إنما يكون بالعلم بالكتاب، والحكمة لا بغيره، والناس بأشد الحاجة إلى من يدلّهم إلى المصدر الموثوق لتحصيل العلوم الصحيحة والحقائق في المطالب الإلهية والشرعية"[126]، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الرسول؛ ثم قال سبحانه وتعالى: (**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**)[127]، فختمها سبحانه وتعالى بقوله (**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ**) "إشارة إلى فضل النبوّة والرّسالة"[128].

والناظر في بلاغـــة ترابط الآيات بين دعوة إبراهيم في سورة البقرة' وإجابة الدعوة في سورة الجمعة يجد عجباً ؛ حيث دعا إبراهيـــم - عليه السلام - فقال :(**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)[129]. وهنا ينظر إلى بلاغة الترتيب (ابعث) (رسولاً) (يتلو) (يعلّمهم) (الكتاب) (الحكمة) (يزكّيهم) (العزيز) (الحكيم)، فإبراهيم - عليه السلام - دعا ربه أن يبعث رسولا صفاته التلاوة أولا، وتعليم الكتاب والحكمة ثانيا، والتزكية ثالثا، وختم دعاءه باسمين وصفتين لله – تعالى - مناسبتين لدعائه، وهما العزة، فمن عزَّ لا يرد أمره، والحكمة؛ ليضع كل شيء في موضعه.

فكانت الإجابة بقوله – تعالى- : (**يُسَبِّـــحُ لِلَّهِ مَا فِـــي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)[130] ، فجاء الترتيب، (العزيز) (الحكيم) (بعث) (رســـولا) (يتلو) (يزكيهم) (يعلمهم) (الكتاب) (الحكمة).

فالعزيز الذي لا يردّ أمره ، والحكيم الذّي يضع الأشياء موضعها ، ومن حكمته بعث رسولاً يتلو، ويزكّي ، ويعلّم.

المطلب الثالث ــ اللمسات البلاغية في تقديم مواضع التزكية وتأخيرها:

جاء ترتيب الآيات ترتيباً بليغاً بديعاً، ففي الموضع الأول لما ذكر إبراهيم - عليه السلام - صفات الرسول، ومهمته قال :(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**)[131]، فجاءت (التلاوة)، ثم (التعليم)، ثم (التزكية) وأما في باقي المواضع فقد جاءت مهمة الرسول على الترتيب (التلاوة)، ثم (التزكية)، ثم (التعليم)، ولهذا حكم وأسرار بلاغية.

منها " أن أول منزلة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ادعاء النبوة الإتيان بالآيات الدالة على نبوته، ثم بعده تعليمهم الكتاب، أي تعريفهم حقائقه لا ألفاظه فقط، ثم بتعليمهم الكتاب يوصلهم إلي إفادة الحكمة وهي أشرف منزلة العلم، ولهذا قال – تعالى - : (**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**)[132]، ثم بالتدرج في الحكمة يصير الإنسان مُزَكًّى، أي مطهراً مستصلحاً لمجاورة الله- عزّ وجلّ-"[133].

ومنها أن العلم يتقدّم أولاً، ثم العمل به، وهو التّزكية؛ لأنّ العلم شرط في العمل[134].

ومنها أنّ تأخير التّزكية على التّعليم في دعوة إبراهيم – عليه السلام – باعتبار الفعل في قوله - عليه السلام - وتقديم التّزكية على التّعليم في باقي المواضع باعتبار القصَّة، والواقع من الرسول -[135].

وكان ترتيب التّعليم بعد التلاوة في دعوة إبراهيم - عليه السلام - لأن " أول ما يقرع السمع هو التلاوة، والتلفظ بالقرآن، ثم بعد ذلك تتعلم معانيه ويتدّبر مدلوله"[136]، وأيضاً "أن العمل بالقرآن متفرّع على معرفة معناه، وهو متفرّع على معرفة ألفاظه والتّزكية غايةٌ أخيرة؛ لأنّها متفرّعة على العمل"[137]، وأما في المواضع الثلاثة الأآخر تأخّر التّعليم؛ " لأنّ تعليم الكتاب وتفهيم ما انطوى عليه يكون بعد التخلّي عن دنس الشرك"[138].

ومن الأسرار البلاغيـــة - أيضاً - في هذا التصريف، أنّ تقدم جملة:(**ويُزَكّيكُم**) في الموضع الثاني على جملة :(**وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**)[139] هنا عكس ما في الآية السابقة في حكاية قول إبراهيم – عليه السلام -:(**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**)[140]؛ لأن المقام هنا للامتنان على المسلمين ، فقدّم فيها ما يفيد معنى المنفعة الحاصلة من تـــلاوة الآيات عليهم، وهي منفعة تزكية نفوسهم اهتماما بها، وبعثاً لها بالحرص على تحصيل وسائلها ، وتعجيلا للبشـــــارة بها؛ فأما في دعوة إبراهيم – عليه السلام – فقد رتبت الجمل على حسب ترتيب حصول ما تضمنته في الخارج مع ما في ذلك التصريف من التفنن[141].

ومن أســرار هذا التصريف البياني – أيضاً- أنّه متى ما قدم التّزكية يكون معظم المخاطبين عواماً مقلّدين ليســوا أهلاً لتعلّم الحكمة والكتاب، فتكون التّزكية أهم، ومتى ما قدّم التّعليم يكون المخاطبون خواص، فيكون الأهم التعليم مع أن كِلاَ الأمرين مطلوب[142].

ومنها أن تقديم التزكية على التعليم أحيانا، وتأخرها عن التعليم في دعاء إبراهيم - عليه السلام ؛ ذلك لاختلاف المراد بالتزكية؛ فإذا تقدمت التزكية كان معناها التطهير من الكفر، وإذا تأخرت يكون معناها الشهادة بأنهم خيار أزكياء، وذلك متأخر عن تعليم الشرائع والعمل بها[143].

و- أيضاً - تقدم في دعاء إبراهيم - عليه السلام - ذكر تعليم الكتاب، والحكمة على التزكية، وقدم في غيرها التزكية على تعليم الكتاب والحكمة، وذلك أن إبراهيم - عليه السلام - لاحظ في دعوته الطريق الطبعي، وهو أن التعليم يكون أولاً، ثم تكون التزكية

ثمرة له ونتيجة، وفي غيرها ذكر الترتيب بحسب الوجود والوقوع، وذلك أن أول شيء فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - هو أن دعا الناس إلى الإيمان بما تلا عليهم من آيات الله - تعالى - ودلائل توحيده، وإلى الاعتقاد بإعادة الناس ليوم لا ريب فيه يحاسب الله فيه كل نفس ويجزيها بعملها وصفاتها، فأجاب الناس دعوته بالتدريج، وكانوا يقتدون به في أخلاقه وأعماله، ولم تكن هنالك أحكام ولا شرائع، ثم شرعت الأحكام بالتدريج، فالتزكية بالتأسّي به - عليه الصلاة والسلام - كانت متأخرة عن إقامة الآيات والدلائل على أصول الإيمان، ومقدمة على تلقي الشرائع والتَّفقُّه في الأحكام[144].

ومنها أن تقديم التزكية على التعليم في الموضع الثالث في سورة آل عمران؛ لاقتضاء مقام المعاتبة على الإقبال على الغنيمة[145].

ومنها أنه لما كانت دعـــوة إبراهيم - عليه السلام - قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها، والتزكية إنما تحصل لهم بالتعليم، وما يتلى عليهم من الآيات؛ لأن ذلك هو السبب في حصولها، والسلامة من الضلال إذا وفقوا للانقياد له ، فجاء الترتيب من بناء المسبب على سببه.

وأما في باقي المواضـــع لما كان المقصود هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذى كان قد وجد منهم، والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم - عليه السلام - أخّر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم؛ ليكون عقبه ذكر الضلال الذى أنقذهم الله منه بما علّمهم وأعطاهم ، وامتنّ به عليهم ، فأخَّـــر ذكر السبب ؛ ليوصل بمسببه الأكيد الذى كان قد وقع، وهو رفع ضلالهم من عظيم محنته، ولو أخّر ذكر التّزكية لما أحرز هذا المعنـــى المقصود، فاختلاف الترتيب؛ إنما هو بحسب اختلاف المقصدين، فورد كل على ما يجب ويناسب[146] . فسبحان الله العليم الحكيم.

الخـــــاتمـــــة:

خلص الباحث من هذا البحث إلى نتائج وتوصيات أهمها:

أهم النتائـــج:

1- أن هذا القرآن في غاية البلاغة والحسن ليس في اختيار الألفاظ فقط؛ بل حتى في ترتيب الكلمات والسور، وهذا وإن كنا نسلم به؛ لأننا مسلمون غير أنه عند الاطلاع والبحث يتبين للقارئ والمتمعن في هذا الكتاب الشيء الكثير، مما يزيد إيمانه وتعلقه بربه سبحانه.

2- أن الداعية إذا كان في مكان لا توجد به شوائب من انحرافات عن العقيدة أو الأخلاق أو غيرها فإنه يبتدئ بالتعليم، وأما إذا كان في مكان كثر فيه الانحراف عن الهدى والطريق المستقيم، فإنه يبدأ بتزكيتهم وتخليصهم من هذه الانحرافات، ثم ينتقل إلى التعليم.

3- أن الرسول الذي استجاب الله به دعوة إبراهيم - عليه السلام - هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وذلك باتفاق العلماء والمفسرين.

4- أن الآيات القرآنية وإن اشتبهت ألفاظها فليس فيها تكرار محض بل لابد من فوائد في كل لفظ، قال ابن تيمية: "وليس في القرآن تكرار محض، بل لابد من فوائد في كل خطاب"[147]، ففي كل موضع يبين الله - تعالى - ما فيها من الاعتبار والاستدلال، أو التقرير، والتأكيد، والتنبيه خشية النسيان، أو غير ذلك من الفوائد والحكم.

التوصـــــيات:

يوصي الباحث بالآتي:

1- الدعوة إلى تأمل القرآن الكريم وتدبّره، والوقوف على تصريف آياته، ومعرفة مقاصده.

2- الدعوة إلى الكتابة في المصطلحات القرآنية، وما فيها من حكم وأسرار بيانية.

الهوامـــــــــــش :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم..

[1]- سورة الإسراء من الآية 89.
[2]- فتح القدير للشوكاني 486/2.
[3] - سورة الإسراء الآية 88.
[4] - أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1418هـ .266/3.
[5] - المصدر نفسه 266/3.
[6] - سورة ص الآية 29.
[7]- سورة الأنفال من الآية : 2.
[8] – ينظـــر : المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين المطريزي ، تحقيق : محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد – حلب، الطبعة الأولى، 1979م.366/1 مادة (زكو).
[9] - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون ط، د ت 394/5 باب : الكاف والزاي.

10- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.418/1 مادة (ز ك و).
11- سورة الليل الآية 18.
12- سورة الكهف من الآية 74.
13- الزاهر في معانى كلمات الناس أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، 1412 هـ -1992م.176/2
14 - المحيط في اللغة لإسماعيل بن عباد 59/2 مادة (ز ك و).
15 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الفيومي، المطبعة الأميرية – القاهرة – الطبعة الخامسة 1922م.254/1 مادة (ز ك و).
16 - سورة النجم من الآية 32.
17 - ينظر أساس البلاغة للزمخشري 418/1 مادة (ز ك و).
18 - المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000م.126/7 مادة (ز ك و).
19 - التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي الناشر : دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت – دمشق، الطبعة الأولى ، 1410هـ..ص174 فصل الزاي.
20 - التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م.ص114 باب الزاي.
21 - ينظر لسان المحدثين لمحمد خلف سلامة 310/2.
22 - المصدر نفسه 188/4.
23 - ينظر : معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988 م. ص : 129 حرف التاء.
24 - سورة البقرة الآية 129.
25 - سورة البقرة الآية 151.
26 - سورة آل عمران الآية 164
27 - سورة الجمعة الآية 2.
28 - سورة البقرة الآية 129.

29 - ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997م.168/1.

30 - قال مقاتل : " استجاب الله دعاءه في سورة الجمعة ". بحر العلوم لأبي الليث نصر السمرقندي تحقيق: د.محمود مطرجي/ دار الفكر – بيروت/ د ت.120/1.

31 - العـــرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا؟ ، ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى - 1416 هـ.98/1.

32 - ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي/ دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان/ 1415 هـ - 1995 م.64/3.

33- رواه الحاكم في مستدركه . المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ – 1990م. كتاب : التفسير، تفسير سورة الأحزاب رقم 3566، (453/2) ، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه "، وقال الذهبي في التلخيص:" صحيح "، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر مكتبة المعارف – الرياض، بدون ط، د ت. (419/4) رقم1545.

34 – ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت 1420 هـ.340/1.

35 – ينظر: لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة، د ت.ص126.

36 - ينظر بحر العلوم لأبي الليث نصر السمرقندي 120/1.

37 - سورة البقرة الآيات 126- 129.

38 - ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.722/1.

39 - زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، بدون ط، د ت.408/1.

40 - تفسير ابن عرفة محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 2008م 419/1.

41 - ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور 722/1.

42 - ينظر :مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1427هـ ص61

43 - ينظر : زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1404هـ.113/1.

44 - ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور 722/1.

45 – ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م 388/1.

46 - وبينا فيما سبق أن الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم بالإجماع.

47 - ينظر : التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى،1997م، 1998م.274/1.

48 - ينظر زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة 409/1.

49- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م294/2.

50 - ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، الطبعة الأولى 1413هـ - 1993م..212/1.

51 - لطائف الإشارات للقشيري 126/1.

52 - التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.58/4.
53 - ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423 هـ/ 2003 م .575/2.
54 - ينظر : البحر المديد لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية ـ بيروت/ د ت.166/1.
55 - لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ .100/1.
56 - ينظر زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة 409/1.
57 - التحرير والتنوير لابن عاشور 723/1.
58 - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 388/1.
59 - ينظر مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر لمساعد الطيار ص61.
60 - أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر 2/ 551. حديث رقم: 3872، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني في صحيح السيرة ص168.
61 - ينظر زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة 409/1.
62 - تفسير البحر المحيط لأبي حيان 340/1.
63 - المصدر نفسه 340/1.
64 - قلت: هذا القول ليس بقوي ؛ لأن الأصل في الكلام هو التأسيس لا التأكيد.
65 - ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان 340/1.
66 - ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية 1424هـ، 2002م.275/1.
67 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420هـ - 2000 م.ص74.
68 - معالم التنزيل للبغوي 152/1.
69 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت 387/1.
70 - بنظر التفسير الكبير للرازي 357/2.
71 - تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423هـ..164/2.
72 - تفسير البحر المحيط لأبي حيان 387/1.
73 - جامع البيان للطبري 88/3.
74- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل 2114.
75- سورة الانعام من الآية 124.
76- سورة الفتح من الآية 26.
77- تفسير ابن عرفة المالكي 420/1.
78- سورة البقرة الآية 151.
79- سورة البقرة من الآية 150.
80 - ينظر التفسير الكبير للرازي 122/4.
81- سورة البقرة من الآية 129.
82- سورة القرة الآية 128.
83- ينظر جامع البيان للطبري 28/3، والتفسير الكبير للرازي 122/4.
84- سورة البقرة من الآية 143.

85- ينظر التفسير الكبير للرازي 122/4، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان 80/2 ، وقال:" هذا بعيد جدًّا ، لكثرة الفصل المؤذن بالانقطاع".
86- آل عمران الآية 164.
87- التفسير الكبير للرازي 122/4.
88- ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان 80/2
89 - التفسير الوسيط لطنطاوي 307/1.
90 - سورة الأعراف من الآية 86.
91 - ينظر التفسير الكبير للرازي 123/4.
92 - ينظر المصدر نفسه 123/4.
93 - ينظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل 203/2.
94 - ينظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 92/1. ، و روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الخلوتي، دار النشر/ دار إحياء التراث العربى. 205/1، والتحرير والتنوير لابن عشور 50/2.
95 - سورة آل عمران الآية 164.
96 - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 443/1
97 - ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 263/4.
98 - لباب التأويل في معاني التنزيل 443/1
99 - التحرير والتنوير لابن عاشور 159/4.
100 - التفسير الوسيط لمحمد طنطاوي 326/2.
101 - التحرير والتنوير لابن عاشور 158/4.
102 - المصدر نفسه 160/4.
103 - المصدر نفسه 158/4.
104 - سورة المزمل من الآية 15.
105 - ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور 158/4.
106 - المصدر نفسه 158/4.
107 - المصدر نفسه 159/4.
108 - سورة الضحى الآية 7، وينظر التفسير الكبير للرازي 459/4.
109 - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 443/1
110 - سورة النمل من الآية 13.
111 - ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور 160/4.
112 - سورة الجمعة الآية2.
113 - بحر العلوم لأبي الليث نصر السمرقندي 120/1.
114 - سورة البقرة من الآية 129.
115 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي 377/5.
116 - التحرير والتنوير لابن عاشور 209/28
117 - مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر لمساعد بن سليمان الطيار61.
118 - ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور207/28
119 - تفسير 1- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، د ت.6/6
120 - ينظر : الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.92/18.
121 - ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان 618/1.
122 - ينظر التحرير والتنوير لابن عاشور 208/28.

123 - غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، 1428 هـ - 2007 م.ص159.
124 - سورة الصف من الآية 6.
125 - ينظر : أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام – القاهرة، د ت.ص138
126 - الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.2/363.
127 - سورة الجمعة الآية 3-4.
128 - ينظر : بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 198/4
129 - سورة البقرة الآية 129.
130 - سورة الجمعة الآية2.
131 - سورة البقرة من الآية 129.
132 - سورة البقرة من الآية 269
133 - تفسير الراغب الأصفهاني لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.1/317.
134 - ينظر تفسير ابن عرفة 419/1.
135 - ينظر تفسير السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون ط، د ت 92/1.
136 - تفسير البحر المحيط لأبي حيان 340/1.
137 - تفسير روح البيان لإسماعيل حقي 205/1.
138 - ينظر : تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني ((دراسة لغوية)) رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية بكلية التربية- بعدن، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. إعداد صالح عبد الله منصور مسود العولقي،1429هـ -2008م.ص17.
139 - سورة البقرة من الآية 151.
140 - سورة البقرة من الآية 129.
141 - ينظر التحرير والتنوير لاين عاشور 50/2.
142 - ينظر تفسير ابن عرفة 467/2.
143 - تفسير البحر المحيط لأبي حيان 387/1.
144 - ينظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 25/2.
145 - ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور178/2
146 - ينظر : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبدالغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د ت.51/1.
147 - مجموع الفتاوى لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية، 1416هـ/1995م14/408.